

## ٩ - خالد بن الوليد \*

## في حروب الردة

للفريق طه باشا الهاشمي

رئيس أركان الجيش العراقي

« لقد شهدت مائة زحف أو زهاءها وما في بذق  
شبر إلا وفيه ضربة أو طعنة ، وهأتنا أموت على فراشي  
كما يموت البعير ! فلا تات أعين الجناء »  
مهاجر بن الوليد

ولا يخلو من الفائدة أن تقتبس هنا وصف المستر قلي الذي  
تجول في هذه المنطقة في صيف سنة ١٩١٨ ، فدون مشاهداته في  
كتابه « البلاد العربية الوهاية » ( Arabia of Wahabit ) وقد  
وصف قرية ألبيلة الواقعة بالقرب من قرية ( عقرباء ) التي دارت  
رحى المعركة فيها بما يلي :

« والقرية الآن أهلة بعدد يسير من السكان البؤساء ، ومعظمها  
أطلال دارسة ، ومقابر الصحابة على ضفة التربة المقابلة للقرية  
( أي الضفة اليسرى للوادي ) وعلى مسافة نحو ربع الميل منها .  
وقد يشاهد المسافر بقاعاً متفرقة مفروسة بأشجار الأثل ( الطرفاء )  
تسرى عن الزرع الانقباض الذي يعتريه من إدامة النظر إلى اللون  
الأخضر الذي لا يتغير ، وهو اللون الدائم لتلك السهول الرسوبية  
المرامية التي سدت الوادي . وبقرب الحى آبار كثيرة بعضها  
مطوى بالحجارة يستقى منه أهل الحى دائماً . أما بيوت أهل الحى  
فمعظمها أطلال من اللبن بلا خشب ، وقد عبت بها يد  
البي ودرست آثارها الأيام . أما ما بقي منها مملاً بأس بحاله ،  
ويستغل منه على أن أهل تلك البيوت عنوا بصيانتها فدعموها  
بأعمدة حجرية مشيدة بالحص لتحمل على متونها روافد السقوف .  
وقد شاهدت في دارسها وعاء مزدوجاً كبيراً من الملائع المعطى  
بطبقة رقيقة من الصاروج ( الجص ) الأحمر لحزن التور ، ولا  
زال جدرانها ملونة بمصارة التمر » إلى الرب يقول : « ومعظم

(\*) وهو بحث في قيم لا يظلم بمثله اليوم فيما نعلم غير كتابه القائل  
« الرسالة »

الجدران المبنية من الطين مؤزر إلى ما يقارب نصفه بإيادات من  
الحجر الصلد مبنية على وجه الجدار بناء منحرفاً توخوا فيها  
بساطة التزيين لا غير . . . . . ويقول في وصف جبل طويق  
والهضاب التي يشرف عليها : « أما ما استدار من الأرض حول  
تلك المنطقة فلم أجد في حياتي أرضاً مثله ، فلم أعتري أرباضه على  
شيء تنقبضه النفس ، فتجد أمامك طويقاً معرضاً لمهب الريح ،  
خالياً من الظاهرات الطبيعية ، ضارباً في كافة الجهات على غط  
واحد لا نهاية له ، ولا يعترضه في ذلك التكوين الغريب سوى  
الحرف الطمئن المسمى جبل صلبوخ الواقع إلى الشمال الشرق »  
وعندما يبحث في أطراف عينة عاصمة آل ابن معمر القدماء  
وهي القرية الواقعة إلى غربي عقرباء ، في واد ضيق - يقول :  
« أما ربوع عينة التي اشتهرت في قديم الزمن بجملها وخصبها  
فنبسطة على جانبي المسيل شرقاً وغرباً نحو ميلين ، وقد أمست  
الآن قاعاً صفضاً وأثراً بعد عين ، ونبت أدغال الأثل في البقاع  
التي وطئت أراضها وسهد تراها لغرس فئائل النخيل فيها . أما  
البلد الأصلي أو الحلة التي كانت يوماً موطناً لآل ابن معمر فلا تختلف  
عما كان حولها من الربوع الضاربة في صدر تلك الحلة الرعجة ،  
إلا أن أطلالها الشاخصة قد سفلت بقعة وسبعة ، وبمرعاب السيل  
في تلك البيداء بين آونة وأخرى بأطلال البنيان القديم كالعمد  
المزوقة رؤوسها . وفي كل ناحية من نواحي تلك الحلة الوسيعة  
آبار نضب عنها الماء وهي مطوية بالحجارة والآجر وعليها أحواض  
مبنية بالصاروج ، أما صفاف المسيل فدعمة بإيادات كالسنيات  
على أشد ما تكون من متابة البنيان ، عقدها أصحابها في وجه  
السيل من زمن بعيد لحبس المياه في بطن المسيل . فرحلوا عنها  
وتركوها وشأنها فعبثت بها يد الدهر فتداعت جدرانها وتقوض  
بنيانها المحكم ثم غدت تراباً فوق أنقاض بالية . وشاهدت في  
بعض تلك الجدران حجارة كبيرة من الصخر الصلد طول الحجر  
الأواحد قدمان في عرض نصف قدم » إلى أن يقول . « جزنا  
الأطلال وخرجنا من عينة الخربة وسلكنا طريقاً يخرق أشجار  
الأثل في عنقوان غمها . والمنتشرة في طول الأرض وعرضها إلى  
أن تنتهي في طرف الحلة القائمة في الناحية الغربية فولينا وجوهنا  
شطر المغرب صاغدين الوادي . فسار بنا الظن بطوى صوحه  
صعوداً . وعرض الوادي في أسفله ( أي في عقيقه ) نحو الميل ،

بخمسة عشر ألف مقاتل - بمعنى أن الجند الأقصى للقوة التي يستطيع الحنفيون سوقها لا يجاوز العدد المذكور . والذي يلوح لنا أن القوة التي جمعها مسيلة في عقرباء تبلغ عشرة آلاف مقاتل .

### قوة المسلمين

يروى الواقدي أن جيش خالد بلغ أربعة آلاف مقاتل في معركة عقرباء . وفي رواية أخرى تسند إلى عيسى بن سهل أن الجيش الذي تولى قيادته خالد لما خرج من المدينة كان بقوة أربعة آلاف مقاتل ، وهذا الجيش حارب في اليمامة . والذي لا ريب فيه أن قوة جيش المسلمين بلغت أربعة آلاف مقاتل لما تركت الربذة وتقدمت نحو براحة وانضمت إليه قوات من بني طي قبل المعركة .

ثم زاد هذا الجيش بعد إسلام قبائل بني أسد وعطفان . ولعل قوته بلغت أكثر من خمسة آلاف لما نزل في البطاح . ومن الثابت أن جماعات من بني تميم انضمت إليه قبل أن يتوجه نحو اليمامة . وتروى لنا الأخبار أن الخليفة أبا بكر أمد الجيش بقوات من المدينة لما كان محتشداً في البطاح ، وأن خالداً سبق هذا الامداد من المدينة وانتظر وروده من البطاح . فجميع هذه الأخبار تدل على أن جيش المسلمين تضاعفت قوته بانضمام القبائل ووصول التجدة إليه قبل أن يتحرك من البطاح نحو اليمامة .

وكان من البديهي أن تلتحق به القبائل التي اتصل بها خبر خيرات اليمامة ووفرة الغنم فيها .

ويلوح لي أن قوة الجيش بلغت أكثر من ستة آلاف قبل حركته من البطاح

### الموقف قبل الحركة

لبي خالد أمر الخليفة فذهب إلى المدينة ليدافع عن عمله في قضية مالك بن نويرة ، وفي رواية لسيف بن عمر أن أبا بكر أرسل عكرمة بن أبي جهل إلى اليمامة لما كان خالد يحارب المرتدين في براحة وأمده بقوة أخرى بقيادة شرحبيل بن حسنة . والرواية تزعم أن عكرمة بدأ القتال قبل وصول شرحبيل فنكسب . فأقام شرحبيل في الطريق حيث أدركه الخبر . وهذه الرواية تؤيد زعم سيف في أن الخليفة قسم جيش المسلمين في ذى القعدة إلى إحدى عشرة فرقة ، وعين قائداً لكل منها فوجهها إلى مناطق المرتدين . وقد سبق أن بينا فساد هذا الزعم . وفي رواية أخرى أن شرحبيل

وكلبا ارتقى الانسان صوح الوادي وارتفع عن عقيقه ازداد انفرج الوادي الى أن بلغ عرضة ميلين أو ثلاثة اميال . ولما أرسلت رائد الطرف في ميمنة الوادي بدا لي شعيب في منخفض الوادي ، وقد قيل لي إن هذا الوادي يأخذ في الصعود مرة أخرى الى حوض عظيم كسيت جدرانه بالصاروج ، يقع على سفح التل لحبس مياه الأمطار والثعاب المنحدرة على جوانبه ، ولم يزل حتى الآن خزاناً لرى حقول القمح المزروعة في وسط الخرائب . وهناك شعيب آخر الى عيين طريقنا يقال له شعيب عينة ينحدر من الهضبة الضيقة التي تفصل وادي حنيفة عن وادي سدوس .

### قوات الفريقين

برغم كثرة الروايات التي تتناول حركات اليمامة والقتال في عقرباء نجد الغموض ظاهراً في معرفة قوة الفريقين .

فالطبري يذكر تقلاً عن سيف بن عمر أن القوة المحاربة لدى قبائل بني حنيفة بلغت أربعين ألفاً . ولما ذكر أخبار السنة الحادية عشرة الهجرية نقل عن ذلك الراوي نفسه ، وزعم أن القوة المحاربة بلغت عشرة آلاف . أما ابن حبيش فيذكر في رواية نقلها عن الواقدي مفادها أن قوة المسلمين بلغت أربعة آلاف ، وقوة بني حنيفة أيضاً بلغت هذا المقدار ذاته . وفي رواية تسند الى سيف بن عمر يزعم الراوي أن عدد القتلى من بني حنيفة بلغ عشرين ألفاً

أما المؤرخ الفارسي ميرخوندي فيزعم أن عدد القتلى في تلك الموقعة بلغ سبعين ألفاً ، والذين قتلوا في حديقة الموت بعد المعركة بلغ عددهم سبعين ألفاً . ولعلك أدركت أنه يصعب الوصول الى عدد يقرب من الحقيقة بين هذه الروايات التي تقدر قوة الحنفيين بين أربعة آلاف وأربعين ألفاً ، وعدد القتلى منهم بين عشرين ألفاً الى مائة وأربعين ألفاً

ولكن الثابت أن مسيلة جمع أعظم قوة لمقابلة جيش المسلمين ووضعها على الحد الفاصل بين بلاد حنيفة وبلاد بني تميم وترك القرى العاصرة وراءه . وكان من مصلحة الحنفيين أن يجتمعوا تحت لواء رئيسهم للدفاع عن حيزهم الذي تركوه وراء ظهورهم ، ويظهر من مجرى المعركة أن عدد القتلى في قوة الحنفيين كان كبيراً

لقد قدرنا جيش بني حنيفة عند البحث في قوات الفريقين

الواقع إلى شرق الحبيبات بين خشم الحبيسة وخشم الخرشنة وفيه تنقسم مياه الأمطار ، فمنها ما يصب إلى الشرق ويجرى في وادي حنيفة ومنها ما يصب إلى الغرب ويجرى في بطن الحور ومن جملة الأسباب التي تجعل خالدًا يميل إلى سلوك الطريق الغربي قربه من قاعدة الحركات أي المدينة . فإذا ما نكب الجيش يصل إليه المدد من خلفه ، وإذا ما تضايق يستطيع الانسحاب إلى المدينة أو إلى مكة من بلاد أسد وغطفان ، أو من بلاد بني عامر وهوازن . لذلك نجزم بأن جيش المسلمين سلك ذلك الطريق في مسيره نحو الحيمة

#### معركة عقرباء

بقيت أن معركة عقرباء من المارك الفاصلة التي ختمت دوراً وفتحت دوراً آخر . فالسلمون جمعوا أقصى قوتهم بقيادة أمر قوادهم . والمرتدون حشدوا أعظم قوة في استطاعتهم جمعها في أوعر منطقة . فنجري المعركة يدل على الغاية التي كان يستهدفها كل من الفريقين

فلو انكسر المسلمون ، لسمح الله ، في هذه المعركة ، لبقي العرب منزوين في جزيرتهم ، واحتفظ الأكرسة بملكهم في العراق ، ولم يلك هرقل ضياع سورية . فالتى الكاذب أسود العنسى الذي سيطر على اليمن مدة من الزمن قتل غيلة ، فلم يضطر المسلمون إلى حشد قوة كبيرة للتغلب عليه . أما بنو أسد فلم يكن من الصعب التغلب عليهم لتفرق كلمة القبائل . بيد أن في عقرباء احتشدت أعظم قوة من أمت قبيلة في أرض مستحكمة ، وكان الناس يقاتلون عن حبهم ، ويتفانون في شجيرة بينهم

ولما انتهت المعركة بانتصار المسلمين انكسرت مقاومة المرتدين في الأقطار الأخرى ، ولم يلاق المسلمون صعوبات في تمكين الاسلام من قلوب أهلها ، فخصمت البحرين ، ودانت عمان ومهرة بدين الاسلام ، وجدوت حضرموت إسلامها ، وبعادت اليمن إلى حظيرة الاسلام . وكان من أزد ذلك أن اجتمعت كلمة العرب فشمروا بقوتهم فبادروا إلى الفتوح بقيادة رؤسائهم ، فاندفعوا كالسيل الجارف يثلون العروش ويقضون على امبراطورية الأكرسة ودولة القياصرة ، فلم يمر بضع سنوات على ذلك حتى كان العرب يصولون بجيولهم في بلاد خراسان شرقاً وبلاد المغرب غرباً

طه الهاشمي

تبع

ابن حسنة الذي تلقى أمراً من الخليفة بأن ينتظر ورود خالد ولا يتحرك بادر إلى قتال مسيلة قبل قدوم خالد فنكسب وانسحب . وإذا صحت هذه الروايات يلوح لنا أن عكرمة بن أبي جهل كان يراقب الحيمة بقوة سارة من المسلمين لما وقف خالد في البطاح ، فوقعت مناوشات بينه وبين الحنفيين حطت مساعيه فيها فانسحب . أما شرحبيل بن حسنة فإنه تولى قيادة جيش المسلمين عند ذهاب خالد إلى المدينة . فبدلاً من أن ينتظر ورود خالد أسرع إلى مقاتلة الحنفيين فانكسر

ولما قدم خالد البطاح كان جيش المسلمين مرابطاً فيها ، وكانت قبائل بني تميم عرضت الولاء إلا البعض منها فالتجأ إلى الحيمة . وكان بنو طيء وبنو أسد وبنو غطفان وبعض بني تميم أمداوا جيش المسلمين بالمقاتلين

أما مسيلة فإنه جهز عدداً كبيراً من بني حنيفة وتقدم شمالاً يريد مقابلة جيش خالد . وتدل الأخبار على أن بعض الحنفيين كان يخبر المسلمين سرّاً ويطلع خالدًا على موقف مسيلة . ومن الروايات ما يؤيد أن الحنفيين الذين حافظوا على إسلامهم تحفزوا للشغب على مسيلة

#### الطريق الذي سلكه خالد

هناك طريقان للتقدم من البطاح نحو الحيمة : طريق شرق وطريق غربي . أما الطريق الشرقي فيتجه شرقاً أولاً ثم يمتد إلى سفح جبل طويق الغربي متوجهاً إلى الجنوب الشرقي ماراً بالأرض الجبلية ، وهو الطريق الذي يصل بريدة بالزلفي ثم يمتد إلى الجمعة ومنها إلى الحوطة فثادق فسندوس ؛ أما الطريق الغربي فيتوجه نحو الجنوب الشرقي فيمر بين نفود السر ونفود الشقيقة إلى أن يصل إلى الشقرة عاصمة الوشم ومنها يمتد موازياً لسفوح جبل طويق الغربية فينعطف نحو الشرق ويتسلق الجبال ويمر بنبية الحيمة حيث ينبع وادي حنيفة في غربي عينة فينتهي في عقرباء ويدخل الحيمة .

والذي يلوح لنا أن خالدًا سلك الطريق الغربي لاجتيازه أرضاً سهلة تجعل المدينة في ظهره . أما الطريق الشرقي فيخترق أرضاً جبلية وعرة . وقد تمرقل عليه السير إذا أراد أهلها المقاومة فضلاً عن أنه طويل

ومن الأخبار ما ينبي بأن طليمة جيش المسلمين باغتت بعض رجال مسيلة في نية الحيمة — أي في عقبه الحبيسة وهو الضيق